تستطيع إسرائيل ارتكاب قدر ما تشاء من المجازر، وربما هذا ما تريده

بقلم: جدعون ليفي



كم كنّا ساذجين وحسّاسين. فقبل 29 عاماً، في 18 نيسان/أبريل 1996، أطلقت مدفعية الجيش الإسرائيلي نيرانها لإنقاذ قوة الكوماندوس "ماجلان"، بقيادة الرائد نفتالي بينت، التي وقعت في كمين في قرية قانا في الجنوب اللبناني، فأصابت 4 قذائف موقعاً للأمم المتحدة لجأ إليه نازحون. وأدى القصف إلى مقتل 102 من المواطنين اللبنانيين، بينهم عدد كبير من الأطفال.

كعادته، حاول الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي التعتيم والكذب، وقال رئيس الحكومة، آنذاك، شمعون بيرس: إننا "نتأسف كثيراً"، لكننا "لا نعتذر"، الأمر الذي أثار غضب العالم. بعد أيام قليلة على الحادثة، اضطرت إسرائيل إلى إنهاء عملية "عناقيد الغضب"، عملية أُخرى من العمليات الإسرائيلية في لبنان. بعد نحو شهر، خسر بيرس في الانتخابات، وصعد بنيامين نتنياهو إلى الحكم، بسبب قانا، من بين أمور أُخرى. حينها، كم كنّا ساذجين وحسّاسين.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت قانا كابوساً إسرائيلياً في كلّ حرب: مقتل عشرات المدنيين الذي أجبر إسرائيل على وقف الحرب. لكن الزمن تغيّر. وصار في إمكان إسرائيل ارتكاب المجازر كيفما تشاء، من دون أن يهددها ما جرى في قانا.

في الأسابيع الأخيرة، ترتكب إسرائيل "مجزرة قانا" كلّ يوم في قطاع غزة، ولا أحد يطلب منها التوقف. لقد تبدّد كابوس قانا، ولم تعد هناك حاجة إلى تجنُّب قتل عشرات المواطنين الأبرياء، ولا أحد يهمّه ذلك. لم يعد الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي بحاجة إلى الكذب، ولم يعُد رئيس الحكومة بحاجة إلى أن يعتذر، لقد تبخّر ضمير العالم والضمير الإسرائيلي واختفيا.

إذا كان حمام الدم المريع الذي وقع في اليوم الأول من الفصل الحالي من الحرب في قطاع غزة لم يوقف إسرائيل، وإذا كان مقتل الطواقم الطبية في رفح لم يلجمها، ما الذي يمكن أن يكبحها؟ لا شيء. فهي قادرة على ارتكاب المجازر عندما تشاء. وعلى ما يبدو، هذا ما تريده.

قتلت إسرائيل 436 مواطناً في الضربة الاستهلالية لتجديد الحرب الحالية في قطاع غزة، بينهم 183 طفلاً و94 امرأة. أربعة أضعاف ما جرى في قانا. وفي "ملحق هآرتس" يوم الجمعة نقل مراسلا الصحيفة وجوه وتفاصيل ما حدث. وهذا الأسبوع، نُشرت تفاصيل مجزرة فظيعة أُخرى، ربما أكثر وحشيةً حتى الآن: مذبحة الطواقم الطبية في حي تلّ السلطان في رفح. لقد عُثر على 15 جثة، بينها جثة مقيدة الساقين وأُخرى أصيبت بعشرين رصاصة، مدفونة في الرمال، فوق بعضها البعض، مع سيارات الإسعاف والإطفاء.

واستناداً إلى الشهادات، لقد جرى إعدامهم. كانوا جميعهم من طواقم الإنقـاذ الـذين حاولوا تقديم المساعدة للمصـابين جـرّاء القصـف الإسـرائيلي من الجـو. في الأيـام العادية، يكون الوصف الذي قدّمه مراسلو صحيفة "هآرتس" لِما جـرى كافيـاً لوقـف الحرب فوراً. وتتضاءل وحشـية مـا جـرى في قانـا، مقارنـةً بحجم الوحشـية في تـلّ السلطان. في قانا، كان يمكن الاعتقاد أنه لا توجد نية مسبقة بشـأن قتـل عشـرات الأبرياء. أمّا في تلّ السلطان، فهناك نية إجرامية وخبيثة واضحة للقيام بذلك.

ما جرى في تـلّ السـلطان مجـزرة إسـرائيلية في غـزة على نطـاق مصـغّر. وبينمـا شكلت مجزرة ماي لي [التي ارتكبها الأميركيون في فيتنـام في سـنة 1968] بدايـة التحول في الرأي العام الأميركي ضد الحرب في فيتنام، فإن أغلبيـة وسـائل الإعلام الإسرائيلية لم تذكر مجزرة تلّ السلطان. أميركا العسـكرية، والـتي كـانت مغسـولة الدماغ، ثارت جرّاء مجزرة ما لي، بينما أغلقت إسرائيل عينيها إزاء ما جرى في تــلّ السلطان. ويبدو أن هذه المجازر لم تؤدّ إلى التحول في الرأي العام، ولا إلى وقــف الحرب، بل أعطت زخمـاً لارتكـاب مزيـد من المجـازر. ففي الأمس، قصـف الجيش الإسرائيلي مستوصفاً تابعاً للأونروا في مخيم جباليا، الأمر الــذي أدى إلى مقتــل 19 شخصاً، بينهم أطفال. إنها مجزرة لا نهاية لها.

المصدر: هآرتس